الفصل العاشر

العراق.. ليست آخر الضحايا!!

لم تلتفت الإدارة الأمريكية إطلاقاً إلى كل صيحات المعارضة التي أطلقتها معظم شعوب ودول العالم في حربها ضد العراق..

لم تعتذر.. أو تحرك أحاسيسها المقتولة دماءُ أطفال «ملجأ العامرية» الذي تم قصفه بالطائرات الأمريكية..

كما لم تتحرك من قبل وهم يصدرون أوامرهم لطائراتهم العسكرية لقصف الأهداف المدنية.

لقد دفعت السياسة الأمريكية "الغبية" في حربها مع العراق "هانزفون شبونيك" منسق المنظمة الدولية للمساعدات الإنسانية في العراق إلى تقديم استقالته من منصبه اعتراضاً على الممارسات الأمريكية البشعة التي كانت تمارسها في العراق..

وبسبب موقفه كان الرجل الذي يشغلُ منصباً حساساً ودولياً مرموقاً.. ومشهودٌ له بسعة الأفق دائماً.. وأبداً موضع نقد ممن يرون أن استمرار العقوبات هو ما سيؤدي إلى حل سياسي.. وحاول التعبير عن موقفه لتدارك ذلك إلا أنه كان يُجابه بالصِعاب.. في حين كان موقفه الرافض لكل ذلك يزيد من إصراره على قول الحقيقة:

وقال المنسق في أسباب استقالته:

لقد أوضحت للأمين العام للأمم المتحدة وقتها أن أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتني إلى الاستقالة يتعلق بموقفي من القرار الذي أصدره مجلس الأمن حول عمل البرنامج الإنساني في العراق.. فذلك القرار غير قابل للتطبيق.. واعتقد أنه سيمضي وقت طويل بلا تنفيذ الجوانب الإيجابية منه.. فالفقرة «٢٤» من القرار المذكور تنص على تخصيص القدر الأكبر من العائدات النقدية لتغطية احتياجات الشعب العراقي.. لكنني اعتقد جازماً أنه في ظل الظروف السياسية الراهنة سيمضي وقت طويل قبل أن يشعر الشعب العراقي بفوائد هذه الفقرة.. وأنا لا أرغب في أن أكون جزءاً من المعاناة المستمرة للشعب العراقي.. لأن الهموم الإنسانية اختلطت بمسألة نزع السلاح.

كما أننا وصلنا إلى نقطة لم يعد بوسعنا حيالها الاستمرار في الصمت.. بل كان يتحتم علينا أن نتحدث بصوتٍ عال.. ولكن ليس كمتحدثين باسم وزارة الخارجية الأمريكية.. أو وفقاً لما تريده واشنطن.. فالأمر ببساطة لا نقبل أننا أمام شعبٍ - يقصد الشعب العراقي - يعاني من الحرمان.. ويجب وضع حد لمأساته.

وحول مدى تدهور الوضع الإنساني في العراق آنذاك قال «هانس فون سبونك»[1]:

كانت الأرقامُ تتزايد على مختلف الأصعدة.. فعندما ننظر إلى نسبة الوفيات نستطيع رؤية المنحنى يتصاعد منذ عام ١٩٩١ حيث كان يموت ٦٥ طفلاً تحت سن الخامسة من كل ألف طفل.. وبعد مرور عشر سنوات وحسب ما أشارت إليه أرقام «اليونسيف»[2] ارتفع الرقم إلى مائة وواحد وثلاثين من بين كل ألف طفل.. أما بالنسبة لسوء التغذية فإنني لازلت أقول كل يوم بأن طفلاً من كل خمسة أطفال يذهب إلى النوم وهو يعاني من سوء التغذية.

وإذا نظرنا إلى نظام التعليم في هذا البلد.. سيكون من الصعب تفهم الوضع القائم.. فلا يوجد ما يكفي من الكتب وأقلام الرصاص والأثاث الأساسي للعملية الدراسية.. وغير ذلك فالوضع فيه نقص تام من جميع الأوجه.

أين الغذاء مقابل النفط؟

وعن الضغوط والعراقيل التي كانت تضعها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها في طريق توفير المعونات الإنسانية للعراقيين في ظل ما عُرِفَ وقتها ببرنامج «النفط مقابل الغذاء» قال :

كانت الموارد الشحيحة التي تأتي ضمن برنامج النفط مقابل الغذاء يستفيد منها الشعب العراقي - إن حدث ذلك - في وقتٍ متأخر.. وفي الغالب بعد فوات الأوان.. وذلك بسبب التأخر في إبرام الكثير من العقود.

---

(١) في حلقة خاصة أجرتها معه قناة «الجزيرة» وحاوره خلالها المذيع «جميل عازر» بتاريخ١٧ فبراير ٢٠٠٠

(٢) منظمة الأمم المتحدة للطفولة – اليونيسف – تعمل من أجل حقوق الأطفال في جميع أنحاء العالم.. بقاءهم.. تطورهم وحمايتهم.. مسترشدة باتفاقية حقوق الطفل الدولية.

وكانت هناك قاعدة لتنظيم البرنامج تقول: أنه كل ستة أشهر كان يقوم مسؤولون في هيئات الطاقة بترتيبات لخطة توزيع المواد.. ويتم توزيعها بالفعل.. لكنهم كانوا يتجاهلون تماماً الحاجة لتقديم مواد أساسية لقطاعات متعددة.. وقد أهملوا وتجاهلوا عنصر التدريب ومسألة تعبئة الكوادر والطاقات.. وبالطبع كان هذا الحال يفتقر إلى التخطيط.. فالاقتصاد لأى دولة هو في النهاية كيان واحد مترابط.. ويجب أن يتم التوزيع فيه وفقاً لربط المواد مع طبيعة الاقتصاد.. وكان موقف التقييم لا يُعطي معلومات مؤكدة عن المواد التي ستنقص في ذلك الوقت.. وهذا لا يسمح التخطيط بشكل موضوعى.. وكافٍ لمعرفة العلاقة مثلاً بين توفير وتوزيع «مادةٍ ما» تخص قطاع الكهرباء بمادة أخرى تخص المياه.. أو الصرف الصحي.. أو أية قطاعات أخرى.. فقد كان كل شيء يسير منفرداً ضمن تخطيط داخلى لقطاع واحد.. وهذا حرم البلد من المحافظة على الترابط الاقتصادي المطلوب

ولكن يجب ألا نقلل من شأن عامل آخر كان له علاقة بالمعاناة الإنسانية بصورتها الآنية.. وهو أن مجلس الأمن يحتجز كثيراً من المبالغ المخصصة لهذا البرنامج.. ففي قطاع الكهرباء مثلاً كان هناك الكثير من المخصصات المحتجزة.. وبخصوص قطع الغيار اللازمة للصناعات النفطية كنا نجد الحالة ذاتها.. وحتى في قطاع التعليم كان هناك وقتها محتجزات مضى عليها فترات طويلة.

ومن الناحية العملية كان الأمريكيون باعتبارهم المسئولين عن معظم المواد المحتجزة.يؤخرون توقيع العقود.. ولأنه لا توجد حدود زمنية.. فالوقت كان بلا نهاية بالنسبة لتوقيع العقود.. وقد يسفر بعض التأخير عن احتجاز دائم لبعض المواد.. وكانت حجتهم في ذلك عدم وجود معلومات كافية سواء من الموردين التجاريين.. أو من الوزارات العراقية المختصة.. لكن الحقيقة التي لم يكن أحدٌ لينكرها هي أن كثيراً من أسباب التأخير كانت تُعزى إلى القرارات التي كانت تتخذها السلطات الأمريكية بشكل أساسي.

ومن هنا نأخذ الخيط لنرى كيف بدأت مأساة تدمير العراق!!

والبداية

فالبداية إدارة الرأى العام العالمي ضد النظام العراقي.. وتصويره على أنه نظام معادي للديمقراطية داخلياً.. يرأسه حاكم ديكتاتورى طاغية.. يوجه ثروات بلاده النفطية لبناء ترسانة أسلحة نووية.. وكيميائية تهدد العالم أجمع.. وليس نطاق بلده الإقليمي فحسب..

وتشكيل الرأى العام العالمي باتجاه أن هذا النظام يجب إسقاطه.. أو على الأقل تحجيمه من خلال حصاره اقتصادياً.. وفرض الحظر التجارى.. والجوي على العراق..

ثم في عهد الرئيس الأمريكي «كلينتون»[1] أقر الكونجرس تخصيص مبلغ «٢٥» مليون دولار لإسقاط نظام الرئيس الراحل «صدام حسين».. وبناءاً عليه قامت بتجنيد عملاء لها لإشعال الفتن.. والتمرد على السلطات هناك.

وشيئاً.. فشيئاً دارت عجلة الحرب.. وبعيداً عن تفاصيل معارك وحروب إسقاط «صدام».. ونظامه نتحدث عن فواتيرها..

فاتورة الحرب الأولى على العراق

استخدم الجيش الأمريكي في حربه الأولى على العراق حوالي«٣٢٠» طناً من الرصاص المعروف بـ "D.U" والذي تصنعه أمريكا من نفايات مادة اليورانيوم المشع والذي ينشر غباراً كيماويا ساماً.. ومحرم استخدامه دولياً.. ولا زالت آثاره

(١) ويليام جيفرسون كلينتون «١٩ أغسطس ١٩٤٦» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثاني والأربعين.. انتخب لفترتين رئاسيتين متتاليتين بين عامي ١٩٩٣ و٢٠٠١ يعد ثالث أصغر رئيس للولايات المتحدة بعد ثيودور روزفلت وجون كينيدي. تولى الرئاسة بعد نهاية الحرب الباردة.. وهو زوج وزيرة الخارجية الأمريكية الحالية والمرشحة السابقة لانتخابات الرئاسة الأمريكية هيلاري كلينتون..ويعد من الديمقراطيين الجدد.. وتعد سياسته بخصوص اتفاق التجارة الحرة في أمريكا الشمالية هي أبرز ملامح فترته الرئاسية.. وعند تركه الرئاسة كان هناك فائض بالميزانية قدره ٥٥٩ مليار دولار. في فترة ولايته الثانية تمكن الجمهوريون من الوصول إلى الكونجرس بعد أكثر من ٤٠ عاماً.. في فترة ولايته الثانية قام مجلس النواب باتهامه بالتزوير وإعاقة العدالة.. إلا أن مجلس الشيوخ برأه من هذه التهمة.. وأكمل فترة ولايته. وبعد نهاية ولايته اتضح أن ٧٠٪ من الأمريكين لا يتفقون مع هذه التهم «نيويورك تايمز في ٢١ ديسمبر ١٩٩٨» وعند مغادرته للرئاسة كان يحظى بنسبة تأييد بلغت ٦٥٪. وهي النسبة الأعلى من أي رئيس أمريكي بعد الحرب العالمية الثانية.. أسس بعد نهايه ولايته مؤسسة ويليام ج. كلينتون لتعزيز الوقاية ضد الأمراض مثل العلاج والوقاية من مرض الأيدز. في عام ٢٠٠٤ أصدر سيرته في كتاب بعنوان "ماي لايف"

حتى اليوم باقية في العراق.. حتى أن الأضرار الخطيرة لهذا النوع من الرصاص ظهرت على آلاف الجنود الأمريكيين أنفسهم الذين شاركوا في حرب الخليج.. فما بالنا بمن كانت توجه إليهم أساساً تلك الذخيرة؟

لصوص الحضارة

وليت الأمر توقف عند هذا.. بل أن تلك الحرب أدت إلى قيام ضباط وجنود من الوحدات الأمريكية بسرقة الكثير من القطع الأثرية من مواقع أثرية ومتاحف عراقية.. وذلك باعترافهم أنفسهم.. وكان من فجر تلك الفضيحة هي صحيفة "شيكا جوتربيون" الأمريكية عام ١٩٩٢م.

الخطة قديمة وهذه هي الأدلة

لماذا العراق؟!

تعتبر الوسيلة التي تم بها تدمير العراق خلال حُقبتي الثمانينيات والتسعينات من أكثر الخطط الحربية والاستخباراتية دهاءاً وذكاء.. كما لعب الإعلام في هذه الخطة «الأمريكية- الإسرائيلية» الدولية دوراً محورياً لايمكن تجاهله..

وإذا عدنا بالذاكرة للوراء قليلاً نجدُ ملامح ثورة «تموز» لإسقاط النظام الملكي في العراق قد بدأت بدعم أمريكي مباشر تجاه التوجه الشيوعي الذي كان متوهجاً بقيادة «عبدالكريم قاسم»[1] وبدعم من السوفييت وبملامح

(١) عبد الكريم قاسم بن جاسم بن بكر بن عثمان الزبيدي "١٩١٤ - ١٩٦٣" من أهالي مدينة الصويرة في واسط بالعراق.. وهو رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة.. ووزير الدفاع في العراق من ١٤ يوليو ١٩٥٨ وحتى ٩ فبراير١٩٦٣ حيث أصبح أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي.. كان عضواً في تنظيم الضباط الوطنيين أو "الأحرار" وقد رشح عام ١٩٧٥ رئيساً للجنة العليا للتنظيم الذي أسسه العقيد رفعت الحاج سري الملقب بالدين عام ١٩٤٩م ساهم مع قادة التنظيم بالتخطيط لحركة أو ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قام بتنفيذها زميله في التنظيم عبد السلام محمد عارف والتي أنهت الحكم الملكي وأعلنت قيام الجمهورية العراقية.. عُرفَ بوطنيته وحبه للطبقات الفقيرة التي كان ينتمي إليها.. ومن أكثر الشخصيات التي حكمت العراق إثارةً للجدل حيث عرف بعدم فسحه المجال للاخرين بالإسهام معه بالحكم واتهم من قبل خصومه السياسيين بالتفرد بالحكم حيث كان يسميه المقربون منه وفي وسائل إعلامه "الزعيم الأوحد" ويعتقد أنه تم اغتياله على يد عبد الرحمن عارف وغير، من مساعديه.. حكم العراق ٤ سنوات و ٦ أشهر و ١٥ يوماً.. حدثت إبان حكم قاسم مجموعة من الاضطرابات الداخلية

طموحة ووثابة حيث كان هدفها ليس فقط تطوير العراقيين وتخليصهم من الجهل والفقر فحسب.. بل تحويل العراق إلى قوة إقليمية ودولية عظمى مشكلاً محوراً للتوازن في المنطقة مع إسرائيل.

ونجحت الثورة في عهد «أحمد حسن البكر»[1] في ذلك إلى حد كبير.. واستطاعت نشر التعليم ومكافحة الجهل في أوساط العراقيين.. حتى صار العراق البلد الوحيد في المنطقة التي تخلو من الأمية.. بل واستطاع خلق مناخ تعليمي متطوراً.. وفريداً من نوعه.. حتى صار التعليم فيه من الروضة وحتى مرحلة الدراسات الجامعية العليا مجاناً لكل فئات الشعب العراقي.. وهو شيْ مفتقد حتى بالنسبة لدولٍ عظمى كالولايات المتحدة.

ليس هذا فحسب بل قام بإنشاء مدارس خاصة للنابغين والموهوبين الذين كان يتم إرسالهم على نفقة الدولة لإتمام مراحلهم الدراسية في جامعات أمريكا وكندا.. وأوروبا.. والاتحاد السوفييتي.. ليرجعوا إلى بلدهم مُحملين بكل ما تعلموه في الخارج من علوم متقدمة.. وكان العلاج مجاناً كذلك لكل العراقيين.

جعلت فترة حكمه غير مستقرة على الصعيد الداخلي.. أما على الصعيد الإقليمي فقد أثار موقف عبد الكريم قاسم الرافض لكل أشكال الوحدة مع الأقطار العربية - ومنها رفضه الانضمام إلى الاتحاد العربي الذي كان يعرف بالجمهورية العربية المتحدة التي كانت في وقتها مطلباً جماهيرياً - خيبة أمل لدى جماهير واسعة من العراقيين ومراكز القوى والشخصيات السياسية العراقية والعربية ومنها الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

(١) انضم البكر إلى الأكاديمية العسكرية العراقية عام ١٩٣٨ بعد أن عمل كمعلم لمدة ٦ سنوات.. واشترك في بدايات حياته العسكرية في حركة رشيد عالي الكيلاني ضد النفوذ البريطاني في العراق عام ١٩٤١ التي باءت بالفشل.. فدخل السجن.. وأُجبرَ على التقاعد.. ثم أُعيدَ إلى عمله عام ١٩٥٧ وانضم إلى تنظيم الضباط الوطنيين الذي أطاح بالملكية في العراق عام ١٩٥٨ ثم أُجبرَ على التقاعد مرة أخرى عام ١٩٥٩ بسبب ضلوعه في حركة الشواف في الموصل ضد عبد الكريم قاسم.. وكان عضواً بارزاً في حزب البعث.. نظّم في ٨ فبراير ١٩٦٣ حركة مسلحة بالتعاون مع التيارات القومية وعسكريين مستقلين أدى إلى الإطاحة بالحكومة العسكرية لرئيس الوزراء عبد الكريم قاسم..وأصبح البكر رئيساً للوزراء لمدة ١٠ أشهر بعد حركة ١٩٦٣ حيث أطاح عبد السلام عارف بحكومة حزب البعث في حركة ١٨ تشرين بعد سلسلة من الإخفاقات والانشقاقات تعرض لها حزب البعث على خلفية أعمال العنف التي مارستها مليشيا حزب البعث الحرس القومي.

كان الشعب العراقي في ذلك العهد مرفهاً.. مستنيراً عكس كثيرٍ من الدول المجاورة له.. وكانت للعملة العراقية قوةً كبيرة مقارنةً بالدولار..

واندلعت نهضة صناعية وزراعية لم يسبق لهما مثيلاً.. حتى كادت ثورة يوليو أن تضاهي الثورة «المايوية»[1] في الصين الشعبية.. فأُنشأت المصانع الكبرى كالحديد والصلب.. والصناعات النفطية.. ومنشآت الأغلال والمحاصيل.. وتحقيق الاكتفاء الذاتي الزراعي عبر دعم المزارعين وتزويدهم بأحدث أدوات الزراعة والإنتاج والأسمدة الكيماوية..

وشُيدَتْ مصانع الأدوية.. والغذاء.. وأدوات البناء.. والطرق.. والشوارع.. والجسور.. وصار العراق على أعتاب التحول إلى دولة صناعية متقدمة وناهضة كـ «ماليزيا» و«تايوان».

وحرص العراق على ربط كل هذا التقدم برابط عسكري متين عبر تأسيس جيش عسكري.. وأمن داخلي قويان مما أثار مخاوف إسرائيل وحلفائها في كل مكان.

مرحلة صدام

وبرز التركيز على هذا الجانب العسكري في عهد «صدام» الذي اعتبر ثورة داخل ثورة في حد ذاتها.. فمنذ اللحظة الأولى من تقلده مقاليده مواقع اتخاذ القرار حرص على تخصيص «٥٪» وبشكل سري من عائدات النفط لصالح بناء برنامج نووي عراقي متكامل.. وقام بزيارة سرية أبان كان نائباً لـ«أحمد حسن البكر» إلى فرنسا لشراء أول مفاعل نووي عراقي.

وتعرضت فرنسا إلى ضغوط إسرائيلية وأمريكية رهيبة لإلغاء الصفقة.. ولكن لم ترضخ فرنسا للضغوط بسبب ضخامة الصفقة التي يسيل لها اللعاب أولاً.. واتفاق فرنسا السري مع إسرائيل على تزويد المفاعل بجهاز تتبع سري تكنولوجي يتيح للمقاتلات الإسرائيلية تحديد موقعه وتدميره مستقبلاً وهو ما

(١) نسبةً إلى الزعيم الشيوعي الصيني الكبير «ماو تسي تونج».

تم فيما بعد بالفعل عام ١٩٨٢ عندما استطاع الطيران الإسرائيلي تحديد موقع المفاعل السري بكل سهولة.. ومن ثم تدميره.

واهتم «صدام» بتزويد جيشه بأحدث الأسلحة والمعدات وتوفير أحسن التدريبات لضباطه في الخارج ولاسيما في الاتحاد السوفييتي..

وتلقى ضباط الأمن العراقيين تدريبات عالية المستوى على يد ضباط «K.G.B» السوفييت.. حتى صارت المخابرات العراقية واحدةً من أقوى أجهزة المخابرات في المنطقة.. وصار الموساد محبطاً وعاجزاً أمامها وهو يرى جواسيسه وعملاءه يتم القبض عليهم الواحد تلو الآخر.. ومن ثم إعدامهم من قِبَل السلطات العراقية.. وصار للعراق جيشين:

جيش أمني وعسكري يشكل الحرس الجمهوري أقوى أعمدته..

وجيش آخر من العلماء والمهندسين والفنيين الذين بإمكانهم تصنيع قنبلة نووية إن أُتيحت لهم الظروف الملائمة والأدوات الضرورية..

كما قام العراق بإنشاء هيئة للتصنيع العسكري.. وهي منظومة فريدة من نوعها في المنطقة تقوم على مبدأ اكتفاء العراق ذاتياً من الأسلحة.. ومجابهة ظروف الحصار العسكري الذي فرضه المجتمع الدولي على العراق وإيران أثناء الحرب الأولى.

كما صار العراق منارةً للعلوم العسكرية يؤمها الضباط من مختلف الدول العربية ليتلقوا تدريبات مجانية على أيدى أكفأ الخبراء.

كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تراقبان العراق عن كثب وقلق.. فرغم محاولة إلهائه بحرب جانبية مع جارته إيران.. إلا أن هذه الحرب ساعدت على تقوية جيشه وأمنه أكثر من ذي قبل.. بل استغل الدعم السري غير المحدود الذي كان يأتيه من الغرب والدول العربية المعادين والمتخوفين من إيران لبناء ترسانة من أسلحة الدمار الشامل.. وكان العراق يتحجج حينها بأنه سوف يستخدمها تجاه الجيش الإيراني في أوقات الضرورة.. وأن هذه الأسلحة هي إجراء تكتيكي لردع إيران.. وأنه سرعان ما سيوقف إنتاج هذه الأسلحة فور انتهاء

الحرب.. وانتهت الحرب دون أن يتخلص منها.. وزادت المخاوف قبل ذلك عندما استخدم الجيش العراقي غاز الأعصاب ضد الأكراد في شمال العراق.

وتخوف الإسرائيليون من ذلك.. ودارت في مخيلتهم التساؤل التالي:

إذا كان هذا النظام لايتورع عن استخدام غاز الأعصاب ضد شعبه الأعزل.. فما الذي سيمنعه من استخدامها ضد الشعب الإسرائيلي إن أراد ذلك؟

ورصد الموساد رد «صدام» الشهير على شائعة رغبة إسرائيل بضرب منشآت عراقية بقوله أنه يستطيع بضغطة زرٍ واحدة أن يحرق نصف إسرائيل بالنار ـ أي الأسلحة الكيمائية ـ ومن المفارقات الغريبة التي حدثت فيما بعد أنه تم محاكمة «صدام»في نفس المكان الذي أطلق منه تهديده؟

ونعود للبداية

وثانيةً نعود للبداية: حيث تشير الحقائق أن خطة تدمير الجيش العراقي بدأ الترتيب لها منذ عام ١٩٨٥ عندما بدأ الجيش الأمريكي بالإعلان عن تقديم هبات مالية تعليمية لكل من يتقدم للحاق بصفوفه.. فعمل على تعبئة صفوفه دون أن يخطر على بال أحد أن الجيش الأمريكي كان يستعد لخوض حرب مستقبلية ضد الجيش العراقي الذي أثارت قوته غير المتوقعة مخاوف الأمريكيين والإسرائيليين.. ومورست ضغوط لتحجيم دور العراق إقليمياً.. وتعطيل نموه المُطرد الذي قد يدفع بعناصر يسارية وقومية عربية لاعتلاء سدة السلطة في البلدان النفطية.. ولكن لم تفلح تلك الجهود.. وكانت فكرة القيام بدعم عملية انقلابية مستحيلة تماماً في كنف نظام تلقى أفراد أمنه وجيشه تدريبات رفيعة المستوى بالاتحاد السوفييتي السابق.. وكان لابد من الحرب.

واستُخدِمَتْ الكويت كطعم لدفع العراق نحو حرب ساحقة.. فقامت الاستخبارات المركزية وبمساعدة الموساد باستقطاب دول عربية.. ودفعها لتعويم سعر النفط من أجل تدمير الاقتصاد العراقي.. وكانت بعض الدول سعيدة بالقيام بهذا الدور الذي يمكن أن يزيح عن كواهل زعمائها شعورهم المطرد

بالقلق تجاه النمو المتعاظم للعراق وما يمكن أن يشكله من تهديد للأنظمة العربية وخاصة الخليجية.

ولعبت الكويت الدور الرئيسي في هز أسعار النفط.. وموروست أدوارٌ استفزازية دقيقة اعتمدت على التحليل النفسي من قبل خبراء الوكالة لشخصية «صدام حسين».. وأتى ولي العهد الكويتي إلى «جدة» لمقابلة «عزة الدوري»[1] بعد أن حفظ عن ظهر قلب ترديد السباب الذي رأى خبراء وكالة الاستخبارات المركزية أنه بكفيل باستفزاز «صدام» ودفعه للقيام بعمل أحمق.. وتم السيناريو المرسوم بعناية.. وتظاهرت السفيرة الأمريكية في بغداد"جلاسبي" بالبراءة عندما ألمح «صدام» في اجتماعه معها على غزو الكويت.. وكانت صور الأقمار الصناعية المزورة قمة الدهاء في الخطة المرسومة والتي ألمحت للسعوديين من خلالها أن العراق يهم بغزو السعودية.

وما هي إلا أيام قلائل حتى توافدت الحشود الأجنبية إلى منطقة الخليج بسرعة فائقة.. وكأنها كانت تخشى أن يتراجع «صدام» عن غزوه فتنهار الخطة عن بكرة أبيها.. وكانت الاستجابة العسكرية تتمثل في سرعة «توافد الحشود» و(العقوبات الاقتصادية).. وبداية«الحصار الدولي» أكبر دليل أنه كانت هناك

(١) عزة إبراهيم الدوري «مواليد ١٩٤٢» كان الرجل الثاني إبان حكم صدام حسين حيث شغل مركز نائب رئيس مجلس قيادة الثورة وقبلها عدة مناصب من بينها منصب وزير الداخلية ووزير الزراعة.. وحمل رتبة النائب العام للقوات المسلحة بعد أحداث الكويت.. وقد كان مُلازماً لصدام مثل ظله منذ اندلاع ثورة ١٩٦٨ وحتى يوم إلقاء القبض على صدام حسين ومن بين المهمات التي أنيطت به قبيل دخول قوات الاحتلال الأمريكي إلى العراق في أبريل سنة ٢٠٠٣ القيادة العسكرية للمنطقة الشمالية.. ولدى اندلاع حرب الخليج عام ١٩٩١ نقلت عنه صحيفة نيويورك تايمز تحذيره للأكراد من إثارة أي متاعب للحكم في بغداد.. مذكرا بالهجمات الكيماوية على بلدة حلبجة عام ١٩٨٨ التي تسببت في مقتل آلاف الأكراد.. والحقيقة أن عزة إبراهيم كانت له علاقات مميزة مع كثير من الأكراد وكان يردد كثيراً في حياته هذه الحادثه لإبعادهم بشتى الطرق التي قد تؤدي إلى أحداث مثل أحداث حلبجة.. وكان المفاوض الرئيسي مع الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح من الكويت لحل المشاكل الحدودية.. والتي أدت إلى الحرب بين البلدين.. وجرت تلك المفاوضات برعاية خادم الحرمين الشريفين آنذاك الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.. وكان الوحيد من زعماء العرب الذي قام بمحاولة إصلاح البين عندما حصل الخلاف بين العقيد القذافي والامير عبد الله ولي عهد السعودية في قمة لبنان العربية.

دراية مسبقة بموعد هذا الغزو.. وبالتالي كان عليهم سرعة الاستعداد لتبعاته.. ووفقاً للخطة المرسومة فإن شعور العراق بالعزلة سوف يدفعه لإعادة النظر في غزوه الكويت.. وبالتالي تنهار خطة تدمير العراق.. لذا فتم تكليف بعض الزعماء العرب بلعب دور مسرحي يتمثل بالتظاهر بدعم العراق في غزوه.

إذن فإن حرب الخليج الثانية لم تكن بدافع طرد القوات العراقية من الكويت وإنما كانت بغرض تدمير الجيش العراقي وتدمير البنية التحتية للعراق بحيث لا يتمكن من إعادة بناء قدراته العسكرية وذلك استناداً إلى التالي:

أولاً: اللهجة العنيفة والشرسة من قبل الإدارة الأمريكية لحث «صدام» على الانسحاب.. وهي لهجة كانت تتسم بالعناد والخشونة ولاتتوافق مع شخصية «صدام حسين» العنيدة.. مالم يكن الغرض من تلك اللهجة هو إبقاء «صدام» على قواته في الكويت وتشجيعه على الاستمرار في الخطأ.

ثانياً: كان بإمكان الأقمار الصناعية الأمريكية رصد دخول القوات العراقية إلى الكويت ومحاولة إيقاف ذلك منذ البداية.

ثالثاً: تجاهل تلميحات «صدام» بغرضه بغزو الكويت والتعامل مع هذا الأمر بسهولة شديدة من قبل السفيرة الأمريكية في بغداد وإدارة بوش الاب.

رابعاً: إعلان بغداد وقف اطلاق النار والرغبة بالانسحاب من الكويت بعد قمة موسكو بين وزيري الخارجية العراقي والسوفييتي في فبراير ١٩٩١ ورغم ذلك استمرت قوات التحالف بشن عملياتها.

خامساً: المهلة الطويلة التي منحت للعراق للانسحاب من الكويت لم تكن بغرض إعطاء العراق الفرصة الأخيرة.. وإنما كانت بغرض إعطاء جنود التحالف فرصة كافية للتكيف مع الأجواء والصحراء العراقية.. والتدريب.

سادساً: استهداف غير مبرر لعدد من المنشآت المدنية والصناعية والبنية التحتية لم يكن هناك مايبرر تدميرهم.. كان لدى قوات التحالف اشتباه بأن

للعراق برامج تسلح سرية.. أو أنه كان يخفي شيئاً.. لذا فقد كانوا يقصفون أهدافاً عشوائية غير مركزة.

سابعاً: مجزرة طريق الموت التي نتجت عن قصف بقايا القوات العراقية الفارة والمنسحبة.

ثامناً: كانت منشآت تصنيع الأسلحة البيولوجية الهدف الأول خلال أيام القصف الأولى.. مما يكشف الأهداف الاساسية للحرب.

نستنتج مما سبق أن «صدام حسين» قد ارتكب أخطاءاً تكتيكية وسياسية فادحة تمثلت فيما يلي:

أولاً: فخ الكويت والدخول في حرب كان يمكنه تجنبها.

ثانياً: تأميم النفط الذي أضر بمصالح الكثير من الشركات الغربية والمعروف بسطوتها على حكوماتها.. فالحزب الشيوعي العراقي بقيادة «عبدالكريم قاسم».. والذي كان يسارياً أكثر من «حزب البعث» نفسه والذي كان مدعوماً من الاتحاد السوفييتي لم يكن يجرؤ على تأميم النفط لمعرفته بمدى خطورة ذلك على الأمن القومي العراقي.. كان بإمكان العراق أن يعمل على تأميم نفطه عندما يُكمل بناء منشآته التحتية.. ولكنه استمر على ذلك النهج الذي جلب له الدمار.

ثالثاً: عدم التخلص من الأسلحة الجرثومية فور توقف حربه مع إيران.

رابعاً: تبني مواقف قومية متشددة.. ولعب دور شرطي القومية العربية.. ما زاد من مخاوف إسرائيل الحليف الاستراتيجي لأمريكا.

خامساً: بقاءه في السلطة فور انتهاء الحرب.. ما برر استمرار الحصار ووقوع الغزو.

سادساً: فور انتهاء الحرب لم يقم بإجراء تغييرات جذرية تستهدف الانفتاح الاقتصادي وتحرير السوق والسماح بتشكيل أحزاب سياسية وفتح مجال الحريات.

سابعاً: كان يحب أن يصيغ طموحاته وفقاً للواقع وليس العكس.. أي تطويع الطموحات وفقاً للواقع المعاش.

«بلاك ووتر»: صعود أقوى جيش مرتزقة في العالم..

ثم جاء اجتياح أمريكا للعراق.. الذي تحول فيما بعد إلى ورطة كبيرة بالنسبة للجانب الأمريكي.. وبسبب صعوبة التورط الأمريكي المباشر في العديد من مناطق الصراع في العالم.. عندت الولايات المتحدة – والعديد من الدول الأوروبية أيضاً – إيكال العديد من مهام القتال القذرة لشركات مرتزقة أمريكية.. أبرزها «دين كورب» و«بلاك ووتر» – التي غيرت اسمها مؤخراً بعد الكشف عن مشاركتها في تعذيب محتجزين لديها إلى اسم جديد هو «X.e».

رغم أن شركة «بلاك ووتر» Black water» «المياه السوداء» لخدمات المرتزقة والحماية.. نشأت عام ١٩٩٦- ١٩٩٧ فلم يسمع عنها أحد سوى حينما نشرت وسائل الإعلام العالمية في ٣١ مارس ٢٠٠٤ خبر وصور قتل أربعة من "المدنيين الأمريكان" الذين كانوا يجوبون وسط مدينة الفلوجة العراقية في سيارة رباعية الدفع.. وظهور صور جثثهم المحروقة والمسحولة على شاشات التلفزيون في جميع أنحاء العالم.. ليتبين لاحقاً أنهم من المرتزقة العاملين في هذه الشركة.. وليسوا مدنيين.

يومها كشفت صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" أن خصخصة الحرب الأمريكية في العراق قطعت شوطاً طويلاً منذ توقيع عقد بقيمة ٣٠٠ مليون دولار بين وزارة الخارجية الأمريكية و«بلاك ووتر» لحراسة «بول بريمر» الحاكم الأمريكي السابق للعراق والسفير الأمريكي في بغداد «زلماي خليل زادة».. وقالت أنه ومن أجل خلق الحوافز لجذب المرتزقة بعقود خاصة في ظروف الحرب.. تدفع شركة «بلاك ووتر» ٣٥٠ ألف دولار سنوياً للمتعاقد مقارنة بـ٣٦ ألف دولار سنوياً متوسط راتب الجندي في الجيش الأمريكي النظامي مما يغري المحترفين العسكريين علي اللحاق بها.

هنا فقط تذكر العراقيون مئات المذابح والتفجيرات التي جرت على يد هؤلاء المرتزقة وهذه الشركة.. التي لم ينسوها خصوصاً أن مرتزقة هذه الشركة عادوا للانتقام من سُنة الفلوجة العراقيين.. وحولوا "مدينة المآذن العراقية" لخراب.

فالجيش الأمريكي ومرتزقته من العسكريين المحترفين ضمن القوات الخاصة الأمريكية الذي سبق أن خدموا في الجيش والبحرية الأمريكية في عدة أماكن في العالم ومنها أفغانستان والصومال وكذا مرتزقة صهاينة.. قاموا عقب تلك الحادثة بحملتين عسكريتين كبيرتين أدتا إلى تدمير الفلوجة تدميراً كاملاً.. واستشهاد وتشريد عشرات الألوف من سكانها الذين استعمل المرتزقة ضدهم الأسلحة المحرمة دولياً.. بل إن الاحتلال الأمريكي عهد إلي هذه الشركة الأمنية - التي تعمل بسرية بالغة – بكل العمل القذر في العراق وتصفية وقتل العراقيين وتعميق الصراع بين السُنة والشيعة.. لأن مثل هذه الشركات ومرتزقتها لا تتحمل أي عواقب أو متابعات قانونية إذا ما اكتشفت أعمالها الإجرامية.. وسيسهل على الاحتلال الأمريكي نفي صلته بهذه الأعمال والزعم أنها من قِبل «إرهابيين»..

ومع أن موقع شركة «بلاك ووتر» على الانترنت لا يعطي الكثير من المعلومات عن نشأتها وأعمالها القذرة.. فقد نشر الصحفي الأمريكي "جيريمي سكاهيلل" كتاب مخصص عنها باسم : "**«بلاك ووتر»: صعود أقوى جيش مرتزقة في العالم**".. شرح فيه نشأتها وتحدث عن أنشطتها القذرة في العالم وخصوصاً العراق.

حيث يقول «جيريمي سكاهيلل» أن «بلاك ووتر» تأسست عام ١٩٩٦- ١٩٩٧ من قِبل "«إريك برنس»" الذي كان أحد أغنى الأغنياء الذي خدم في القوة البحرية الأمريكية الخاصة كـ «نيفي سيل».. وأن المكان الذي أسست فيه مؤسسة «بلاك ووتر» كانت قطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ هكتار قرب مستنقع ديسمال "كئيب" في ولاية كارولاينا الشمالية ومُولت من قبل الثروة الخاصة لـ«إريك برنس»..

رجل متعصب

ويقول «جيريمي سكاهيلل» أن «إريك برنس» من سلالة مسيحية يمينية غنية جداً في بلدة هولندا الواقعة في ولاية ميشيجان الأمريكية.. ووالده يدعى «إدجار

برنس».. وكان بدوره رأسمالياً طموحاً بنى مؤسسة كبيرة جداً تدعى «برنس مانيوفاكتشرنج كورب» لصناعة أجزاء مهمة تدخل في صناعة السيارات.

وقد نشأ الشاب «إريك برنس» طموحاً مندفعاً.. وكانت عائلته صارمة التدين.. وكان «إيريك» ميالاً إلى السياسة منذ صغره.. وراقب والده حينما كان يستعمل الشركة كمحرك لتوليد النقد المالي لتمويل نشوء وصعود ما يعرف اليوم بـ «اليمين المسيحي المتطرف» في الولايات المتحدة.

وقد تبرع والده «إدجار برنس» بالمال الوفير إلى «جاري بوبير» لتأسيس ما سُمِيّ لاحقاً بـ«مجلس البحث العائلي» وهو مجلس ديني يستهدف الحفاظ على القيم المسيحية ويرفض العلمانية المسيحية.

وكان الشاب «إريك برنس» ضمن المجموعة الأولى من الذين انضموا لهذا المجلس.. كذلك تبرعت عائلته بأموال كبيرة إلى «جيمس دوبسون» ومجموعته التي تدعى «فوكاس أون فاميلي» أو «مركز نشاط العائلة» والتي تعتبر الآن شبكة تنظيم إنجيلية رئيسية في الولايات المتحدة تسمى «برايز ورايرز» أى «جنود الصلاة».

ويقول الصحفي الأمريكي «جيريمي سكاهيلل» أن الشيء الذي يدعو إلى الاهتمام هنا هو أن أخت «إريك برنس» - اسمها "بيتسي"- متزوجة من «ديك ديفوس» الذي ينتمي إلى عائلة نافذة جداً في ميتشيجان.. وتمتلك مؤسسة «أمواي كورب» المختصة بصناعة منتجات الخدمات المنزلية وأن هذه العائلة تستعمل مؤسستها ليس لبيع إنتاجها وخدماتها فقط.. بل أيضاً لبيع ونشر أجنداتهم السياسية لتأييد صعود اليمين المسيحي وما يسمى بـ «ثورة الجمهوريين».

وقد عمل «إريك برنس» – صاحب «بلاك ووتر» - كمتدرب في البيت الأبيض في عهد الرئيس «جورج بوش الأب» لكنه اشتكى من أنه لم يكن يميني محافظ" بدرجة كافية.. كذلك عمل كمتدرب لعضو الكونجرس اليميني المحافظ لولاية كاليفورنيا «دان روراباخر» الذي بعد تركه العمل مع الرئيس رونالد ريجان كمستشار وكاتب خطابات ذهب إلى أفغانستان للالتحاق بالمجاهدين الأفغان وقت أن كانت أمريكا تساعدهم بالسلاح لهزيمة الاحتلال السوفييتي.. وقبل أن يصبح عضواً في الكونجرس الأمريكي.. وذهب «إريك

برنس» أيضاً إلى أفغانستان في أيام شبابه قبل التحاقه بالقوات البحرية الخاصة "المارينز" وكان يتفاخر بأنه وقف بجانب المجاهدين الأفغان الذين يحاربهم الآن من خلال مرتزقة شركته«بلاك ووتر» .

وعندما أسس «إريك برنس» شركة «بلاك ووتر».. مستفيداً من جمعه بين عدة خبرات سياسية ودينية وعسكرية.. ضم معه عدداً من رجال القوات الخاصة السابقين من ذوى اليمين المسيحي المتطرف.. بهدف بيع الخدمات الأمنية والتدريب العسكري.. ولهذا نجحت علاقات غالبية هؤلاء المتعاونين معه ومع إدارة بوش اليمينية في تأمين عمل ضخم لهذه الشركة جعلها من كبري شركات المرتزقة في العالم.. بالرغم من أنها ليست الأولى العاملة في هذا المجال.

ومن المدراء التنفيذيين الأقوياء في شركة «بلاك ووتر» شخص اسمه «جاي كوفر بلاك» الذي عمل كمسئول كبير في إدارة بوش.. كما عمل سابقاً لمدة ثلاثين عاماً في جهاز المخابرات المركزية الأمريكية.. وكان «كوفر بلاك» هو أحد مسئولي المخابرات المركزية الرئيسيين في أفريقيا خلال العقدين السابع والثامن من القرن الماضي.. ووصل إلى السودان في أوائل التسعينيات متنكراً تحت غطاء دبلوماسي لمتابعة فعاليات واصطياد الإرهابي العالمي «كارلوس»[1]..

وتعرض «بلاك كوفر» لمحاولة قتل من جماعة «بن لادن» حينما علموا أنه كان يعمل لصالح المخابرات المركزية.. وفي نفس الوقت كانت المخابرات المركزية تُعِدُ العُدة لقتل «بن لادن» وإلقاء جثمانه في حديقة السفارة الإيرانية في الخرطوم لرمي اللوم على إيران وعملائها النشطين في السودان.

بعدها انتقل «كوفر بلاك» للعمل في أمريكا اللاتينية.. ولكن قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أُعيد إلى الولايات المتحدة.. وتم تعيينه رئيساً لمركز مكافحة الإرهاب التابع لوكالة المخابرات المركزية..

وهو أيضاً المسئول عن النشاط السري «إكسترا أوردينيري رينديشن» الذي تقوم به وكالة المخابرات المركزية.. ويشمل اختطاف ونقل السجناء العرب والمسلمين من مختلف الدول.. ونقلهم إلى سجون سرية في دول أخرى في أوربا الشرقية

(١) قصته بالتفصيل في فصل (هؤلاء تحدوا الشيطان).

وبعض الدول العربية والأفريقية لتعذيبهم والحصول منهم على معلومات استخباراتية تحت التعذيب.

ومن مخضرمي شركة«بلاك ووتر» أيضاً «روبوت ريتشر» وهو عضو في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً.. وبمساعدة «إيرك برنس» وقد أسسا شركة جديدة ضمن مجموعة «بلاك ووتر» تدعى «توتال إنتيليجينس سوليوشن» لخصخصة الحصول على المعلومات الاستخبارية.

وتمتلك شركة «بلاك ووتر» أسطول جوي مكون من أكثر من «٢٠» طائرة نقل بعضها مشابه للطائرات التي تستُعمل في عمليات"إكسترا أوردينيري رينديشن" وكذلك طائرات عمودية تعمل في العراق أيضاً لنقل الجنود.. والمرتزقة.. والقيام بعمليات عسكرية وأمنية لقتل العراقيين خارج نطاق فعاليات الجيش النظامي الأمريكي وبعيداً عن النظم والقوانين التي تتحكم بالعمليات العسكرية النظامية أو حتى المدنية منها.

وقد أهلت هذه العلاقات بين مسئولي الشركة والإدارة والمخابرات الأمريكية.. شركة «بلاك ووتر» للحصول علي عقود بأرقام وهمية للجيش الأمريكي بشكل مباشر.. وكذلك عقود مع وزارة الخارجية الأمريكية..

وشأنها شأن بقية شركات المرتزقة التي تتهرب من العدالة الدولية.. تعمل «بلاك ووتر» منذ عام ٢٠٠٤ على وضع مرتزقتها وقواتها تحت مجموعة القوانين الموحدة للعدالة أو القضاء العسكري.. المعروفة باسم نظام المجلس العسكري.. وتستفيد من تصنيفات سابقة ذكرها وزير الدفاع الأمريكي السابق «دونالد رامسفيلد» لمرتزقتها باعتبارهم ضمن تعداد القوات الأمريكية في العراق التي تقول إدارة بوش أنهم فوق المساءلة القانونية.

«بلاك ووتر» في العراق

ويعتبر عمل هذه الشركة في العراق هي الفرخة التي تبيض ذهبا لها.. فقد تسلّمت شركة «بلاك ووتر» ٥٠٥ مليون دولار على شكل عقود خاصة من الحكومة الأمريكية منذ عام ٢٠٠٠ ونجحت في بناء قاعدة لجيش خاص من المرتزقة في أماكن تواجدها.. مزودة بطائرة بوينج ٧٢٧ وطائرات هيلوكوبتر ومدرعات.. مع جيش يضم ٢٠ ألفاً من المرتزقة.

وتحرص الشركة ومثيلاتها على إقامة قواعدها في منطقة يزعمون أنها لا تعود لأحد غير خاضعين للقانون المحلي الأمريكي.. أو الدولي.. أو حتى معاهدة جنيف.. مما يجعل غياب الإطار القانوني فرصة سانحة لارتكاب كل ما يحلو لها من فظائع أثناء تنفيذها لمهام عملها.

وفرعها في العراق يرأسه ضُباط أمريكيون وتمتلك الأسلحة الثقيلة والمتوسطة واللوجستية.. ولديها صواريخ مضادة للدروع والدبابات غير مسجلة مع القوات متعددة الجنسيات الموجودة في العراق برعاية الولايات المتحدة.. وجندت الشركة ما يقرب من ٤٥٠ من المرتزقة من القوات الخاصة وعناصر العمليات الخاصة المتقاعدين في الجيش الأمريكي لتستخدمهم سلطات الاحتلال لحماية موظفيها العاملين في العراق.. وهم مرتزقة مدججون بالأسلحة والأجهزة الفتاكة.. ويرتدون ملابس مدنية.. ورغم السرية التي تحيط بها عملها فقد اتهمت الشركة بأنها وراء تفخيخ «١٧» سيارة مرةً واحدة في بغداد يوم الأربعاء ١٤سبتمبر سنة ٢٠٠٥م حيث أن التحليل المنطقي الذي استند عليه الخبراء في تحليلهم لهذه الأحداث والعمليات أنها تمت في توقيتات متلاحقة ومتقاربة جداً.. وفي مدينة واحدة رغم مراقبة الأقمار الصناعية وعلى مدار الـ٢٤ ساعة.. وتحت سمع وعيون جيش الاحتلال.. وإن ذلك يدل على أن من قام بذلك هي جهات مدربة ولها إمكانيات واسعة.. وليس مجرد مقاومة محاصرة.

كما أُتهمت الشركة بأحداث تفجيرات متعددة في مناطق «تل عفر» و«الرمادي» و«القائم» و«كربلاء» و«هيبت» و«الحُصيبة» وغيرها من المدن العراقية.

لمحات من مذابحهم في العراق

مجزرة"عملية الرمح"

مع الساعات الأولى لأحد أيام الجمعة.. وَسَّعَتْ قوات الغزو الأمريكية/البريطانية من عدوانها على مدينة «القائم» والبلدان المجاورة لها.. وبدأ حوالي ألف جندي من قوات المارينز المدعومة بغطاء جوي.. وطائرات «F١٦» الأمريكية مضافاً لها طائرات تورنادو البريطانية.. وأعداداً كبيرة من الدبابات والمدافع وناقلات الجنود.. مجزرتها المسماة "عملية الرمح" بحق السكان المدنيين في منطقة غرب العراق الملاصقة للحدود السورية.. تحت ذرائع ممجوجة وواهية

من بينها: مقاتلة المحاربين الأجانب.. إنهاء حالة التمرد.. وضرب شبكة الدعم للمتمردين في منطقة الكرابلة ومحيطها..

مجزرة "الماتادور"

إنه نفس السيناريو الذي حرك قبلها نفس القوات قبل خمسة أسابيع فقط في مجزرة أخرى تسمى "الماتادور" وعند تصاعد العمليات الأمريكية الوحشية في ذات المنطقة في الحادي عشر من الشهر الحالي.. مما يؤكد على أن كل أشكال التدمير والقتل الفاشية التي تلجأ لها قوات الغزو في مواجهتها لرفض السكان للاحتلال ومقاومته لن تجدي نفعاً.

المجزرة الجديدة في القائم وبلداتها المجاورة.. خاصة في «الكرابلة».. أدت لاستشهاد أكثر من مائة مدني.. معظمهم من النساء والأطفال.. إضافة للعشرات الذين لايعرف مصيرهم لوجودهم داخل المنازل المدمرة.. مع وجود المئات من الجرحى في ظل نقص طواقم العلاج وقلة الإمكانيات والتجهيزات والأدوية.. كما أدت لحركة نزوح جماعية تقدر بالآلاف..

وقصفت بشدة المقاتلات الأمريكية الأحياء السكنية في بلدة «الكرابلة» على خلفية الاشتباكات العنيفة التي دارت بين المسلحين والجيش الأمريكي وهو ما أدى لسقوط عشرات القتلى من النساء والأطفال.

قنابل المدفعية والدبابات.. وصواريخ الطائرات الليزرية.. وقنابلها التدميرية أسقطت تسع منها بحمولة متفجرات تتراوح بين ٢٥٠ إلى ٥٠٠ كجم أدت إلى دمار واسع ببيوت المدينة التي لايتجاوز عدد سكانها ستون الفاً..

وفي اليوم الرابع للمذبحة.. تم تدمير كامل لثلاثة مساجد بالبلدة " القرني.. القدس الشريف.. الصحابة " إضافة لقصف المستوصف الوحيد مما أدى لاستشهاد أربعة أطباء وعدد من المرضى.. والقضاء على عائلاتٍ بكاملها بعد أن تهدمت المساكن على رؤوس أصحابها.

مذبحة "الخنجر"

ولم تمض ساعات على بدء مجزرة الرمح.. حتى انطلقت جماعات القتل الدموية "المارينز وحلفائها المحليين" في مذبحة جديدة أسموها "الخنجر" استهدفت هذه المرة منخفض وبحيرة الثرثار في المناطق المتلاصقة لمحافظتي الأنبار وصلاح

الدين.. الواقعة إلى الشمال الغربي من بغداد لتحقيق مجموعة أهداف تتلخص في ملاحقة المقاتلين.. وتدمير ملاجئهم.. ومخابىء أسلحتهم وقطع طرق إمداداتهم.. واستخدم الغزاةُ في جريمتهم الجديدة كل ما في ترسانتهم من أسلحة.. لكن المواجهات التي أدارها أبطال المقاومة في الكرابلة والقائم والثرثار.. كبلت قوات الغزو ومعداتها أفدح الخسائر.. كما في تل عفر وديالى وكركوك وبغداد والبصرة والعمارة والرمادي وهيت وبيجي وشرقاط والضلوعية والمحمودية وأبوغريب.. مما أكد بسالة وجاهزية واقتدار المقاتلين.. مما دفع بالكولونيل «ستيف ديفز» من وحدات القتل "المارينز" للقول وهو يتفقد أطلال ما ادعى أنه قاعدة للمقاومين في الكرابلة.. كما أعلن العديد من ضباطه وجنوده أنهم يتوجهون نحو جهنم..

مذبحة "الإسحاقي"

وهناك مذبحة مروّعة أخرى ارتكبتها قوات الاحتلال الأمريكي في العراق في مدينة الإسحاقي شمال بغداد.. أسفرت عن قتل ١١ مدنياً عراقياً.. من بينهم خمسة أطفال وأربع سيدات في مارس ٢٠٠٦.

وقالت وقتها دوائر الجيش الأمريكي: إن القتلى سقطوا بسبب انهيار أحد المنازل في البلدة.. ولكن شريطاً مصوراً تم العثور عليه فيما بعد كشف عن وجود مذبحة قام بها الجنود الأمريكان بدم بارد.

مذبحة مدينة "الحديثة" العراقية

قبل ذلك بعدة أسابيع ارتكبت نفس القوات مذبحة في مدينة «الحديثة» العراقية.. قتلوا خلالها ستة أطفال.. وسبع نساء.. وعدداً آخر من الشيوخ والرجال.. وقد صرح أحد جنود الاحتلال من مشاة البحرية بأنهم كانوا ينتقلون من منزلٍ إلى منزل.. يقتلون السكان بغض النظر عن استغاثة الأمهات.. وتوسلات الآباء.. وصرخات الأطفال.. قتلوا أطفالاً وشيوخاً عاجزين عن الحركة على كرسي متحرك.. وكانت العملية عبارة عن عملية إعدام منظم للمدنيين.. كرد على

مصرع أحد جنود الاحتلال يوم ١٩ نوفمبر ٢٠٠٥ بعد اصطدام مدرعة بشحنة ناسفة كانت مزروعة على جانب الطريق بالقرب من مدينة الحديثة.

وبديهي أن تلك القنبلة زرعها رجال المقاومة الذين لا يستطيع الأمريكان الوصول إليهم.. فانتقموا من المدنيين العُزل.. وهو أمر ينمّ عن الجبن والانحطاط الفردي والمؤسسي.. والحضاري لأمريكا.

مذابحهم لا تنتهي

يمكننا أن نرصد مذابح أخرى كثيرة كانت تحدث تقريباً كل يوم في بدايات الغزو.. فكل مدينة.. أو قرية عراقية شهدت ما يندى له الجبين على يد قوات الاحتلال الأمريكية أو البريطانية أو غيرهما.. وقد تم الكشف عن بعض تلك المذابح والانتهاكات.. ولكن غير المعروف وغير المكشوف منها أكبر بكثير جداً.. لدرجة أن رئيس وزراء العراق ذاته «نوري المالكي»[1] وهو من

(١) نوري المالكي «٢٠ يونيو ١٩٥٠» رئيس وزراء العراق منذ عام ٢٠٠٦ حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية أصول الدين في بغداد.. وشهادة الماجستير في اللغة العربية.. من جامعة صلاح الدين في أربيل.. غادر العراق عام ١٩٧٩ بعد صدور حكم بإعدامه.. ولجأ إلى سوريا التي ظل بها حتى عام ١٩٨٢ثم انتقل إلى إيران إلا إنه عاد إلى سوريا بعد انقسام حزب الدعوة إلى جناحين أحدهما مؤيد لإيران.. والآخر رفض الانضمام إلى الجيش الإيراني.. ومقاتلة الجيش العراقي خلال الحرب العراقية الإيرانية.. وبقي في سوريا حتى الغزو الأمريكي للعراق.. ثم انضم إلى حزب الدعوة الإسلامية في عام ١٩٧٠ وأصبح عضوًا في قيادة الحزب ومسؤولاً عن تنظيمات الداخل طيلة فترة تواجده في المنفى.. وتولى مسئولية الإشراف على "صحيفة الموقف" المعارضة والتي كانت تصدر من دمشق.. وكتب العديد من المقالات في المجالين السياسي والفكري.. كما تولى رئاسة "مكتب الجهاد" الذي كان مسؤولاً عن تنسيق الأنشطة داخل العراق.. وكان عضوًا فاعلاً في جميع مؤتمرات المعارضة العراقية التي عُقِدَتْ في شمال العراق وخارجه بعد إسقاط نظام صدام حسين في ٩ أبريل من عام ٢٠٠٣ عاد إلى العراق بعد هجرة دامت ربع قرن.. واختير كعضو مناوب في مجلس الحكم العراقي.. الذي أسس من قبل سلطة الائتلاف المؤقتة برئاسة بول بريمر.. كما شغل منصب نائب رئيس المجلس الوطني المؤقت.. وأسهم في تأسيس كتلة الائتلاف العراقي الموحد والتي كان هو الناطق الرسمي باسمها.. وهي التي رشحته لتولي مسؤولية رئاسة لجنة الأمن والدفاع في الجمعية الوطنية وشارك في لجنة صياغة الدستور العراقي.. انتُخِبَ لتشكيل أول حكومة عراقية دائمة منتخبة في شهر مايو من عام ٢٠٠٦ وذلك بعد أن تخلى رئيس حزب الدعوة الإسلامية رئيس الحكومة إبراهيم الجعفري عن ترشيحه للمنصب.. وكان الوضع الأمني في بداية ولايته أكثر سوءاً.. حيث بدأت عمليات الخطف والتهجير والقتل الطائفي.. فأطلق في عام ٢٠٠٧ خطة لفرض القانون.. كما إنه أحد الموقعين على إعدام الرئيس الأسبق صدام.. وقام بتنفيذ الحكم بسرعة.. وعلى الصعيد الدولي.. وفي نهاية عام ٢٠٠٨ وقع اتفاقية مع الولايات المتحدة لتنظيم

التحالف العراقي المتعاون مع أمريكا.. قال: إن عمليات القتل الأمريكي للعراقيين أصبحت بمثابة ظاهرة يومية.. وأن العنف ضد المدنيين العراقيين أصبح ظاهرة روتينية يمارسها جنود الاحتلال الذين لا يحترمون الشعب العراقي.. وأن هؤلاء الجنود يدهسون الناس بعرباتهم.. ويقتلونهم لمجرد الشك فيهم.

ولنا أن نتصور مدى ما وصل إليه الحال من مثل هذا التصريح من رئيس الوزراء العراقي المتحالف والمتعاون والمستند أصلاً في وجوده في السلطة إلى القوات الأمريكية المحتلة.

في كل مرة يتم الكشف عن مذبحة أمريكية أو انتهاك لحقوق الإنسان يُقال: إن القوات الأمريكية كانت تبحث عن المتمردين.. أو أن أهالي تلك القرية أو المدينة يؤون الإرهابيين أو الثوار أو يساعدونهم.. أو أن تلك المذابح تمّت من أجل البحث أو القبض على الثوار..

حدث هذا الأمر.. ونفس المبررات في مذابح الأمريكان في قرية «ماي لاي» الفيتنامية ١٩٦٨ التي سبق وتحدثنا عنها..

وفي قلعة جانجي حين قتلوا مئات الأسرى الأفغان.. وفي قندهار.. في أفغانستان عام ٢٠٠١ وفي سجن أبي غريب ٢٠٠٤.

والغريب أن الصفاقة الأمريكية لا حدود لها.. ففي كل مرة كان يتم الإعلان عن تشكل لجنة تحقيق.. ومحاكمات.. وتصدر إدانات يتم فيها تقديم كبوش فداء.. دون النظر إلى أن ذلك يتم في حقيقته بأوامر من قيادات عُليا في الجيش الأمريكي.. بل والقادة السياسيين أنفسهم.. وفي كل مرة يعلن القادة

عملية انسحاب القوات الأمريكية.. وعلى الرغم من إنه صرح في يوم الانتخابات بأنه عازم على تسليم السلطة بشكل سلمي.. لكنه تراجع عن تصريحاته بعد إعلان النتائج وتأخره بمقعدين.. وبعد ٨ أشهر من إجراء الانتخابات استطاع الفوز بمنصب رئيس الوزراء لفترة رئاسية جديدة وذلك بعد حل المشاكل العالقة ومنها تأسيس المجلس الوطني للسياسات الاستراتيجية على أن توكل رئاسته لرئيس القائمة العراقية «إياد علاوي» وكُلِفَ رسميًا بتشكيل الحكومة في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٠ وذلك قبل يوم واحد من انتهاء المهلة الدستورية الممنوحة لرئيس الجمهورية جلال طالباني لتكليف من يتولى رئاسة الوزراء.. واعتبر هذا التأخير بالتكليف الرسمي بهدف منحه أكبر وقت ممكن للتفاوض حول تشكيلة الحكومة وتوزيع المناصب الوزارية خلال مدة ثلاثين يوماً..

الأمريكيون عن ضرورة تنظيم دورات تدريبية للجنود على أخلاقيات وقواعد الاشتباك.

جريمة حضارية وإنسانية متكاملة

ومع ذلك كانت وما زالت تتكرر المذابح وتزداد انتشاراً..

والأمر في نهايته بمثابة «جريمة حضارية وإنسانية متكاملة».. لأن هذه الجرائم الجديدة لا يمكن عزلها عن الجرائم التاريخية الممتدة في الزمان والمكان.. والتي ارتكبتها أمريكا في حق السود.. أو الهنود الحمر.. أو الفلسطينيين.

مما يؤكد أننا بصدد وجود مناخ عنصري داخل الحضارة الغربية يقود إلى مثل هذه الجريمة.. ويسوغها أحياناً ويتغافل عنها أحياناً أخرى.. أو يقدم «كبش فداء صغير» لنسيانها أو تخفيف الضغط حولها.. أو عدم وصول الشعوب إلى حقيقة أن الطريق الوحيد للتحرر هو المقاومة.. وليس البحث عن إمكانية وجود ضمير لن يوجد أبداً لدى هؤلاء الطُغاة.

إن سهم وخنجر أمريكا غمده في العراق.. ونصله في بقاعٍ أخرى شتى.. يدمي شعوباً مسالمة.. ويصيب عقول وأفئدة وأجساد كل شعوب التي أقحموا أنفسهم في مقدراتها.. ويمزق شعاراتهم المتشدقة بالديمقراطية والعدالة وهم أبعد ما يكونون عنها.

وهذا ما أكدتهُ منظمة العفو الدولية في تقريرها الصادر يوم ٢٥ مايو ٢٠٠٥ إذ اتهمت المنظمة الولايات المتحدة بأنها "تستخدم مقولة الحرية والعدالة من أجل نشر الخوف وانعدام الأمن في العالم".

كما أشار تقريرها "إلى مسئولية الولايات المتحدة عن كل مايُرتكب ضد حقوق الإنسان في العالم.. لأنها الدولة العظمى التي تزدري حكم القانون وحقوق الإنسان".. مما دفع بـ «بوش الابن» حاكم البيت الأبيض للرد الفوري على الحقائق التي أعلنتها المنظمة.. إن تقريرها سخيف بسبب أن الولايات المتحدة هي الدولة التي تنشر الحرية في أرجاء العالم.. لكن الرئيس لم يرغب في تذكيرنا بأبرز معالم تلك الحرية "القنابل على هيروشيما وناجازاكي.. مذابح الفلبين..

وتشيلي.. وهندوراس.. وبنما.. والصومال ويوغوسلافيا.. احتلال أفغانستان والعراق.. جوانتانامو.. وأبو غريب".

إن الخنجر الأمريكي في العراق هو الوجه الآخر للخنجر الصهيوني في فلسطين.. فالأيادي واحدة والأهداف متوحدة.. ومجابهة ومقاومة الطرفين المتوحشين سيكون قَدَرُ الأمة.. فإرادة التواقين للحرية والكرامة والسيادة ستنتصر.

بوش هو الأسوأ..

وطالما تحدثنا عن بوش الابن.. وجاء ذكره الممقوت.. فلابد أن نتوقف عنده قليلاً.. لنقول أن النظام العالمي شهد خلال العقدين الماضيين الكثير من أحداث العنف نتيجة السياسة الأمريكية التي قادها الـ«بوشين» الأب مطلع التسعينيات.. والابن الذي سار على نهجها طوال سنوات حكمه الوبيل.

ويرى كثيرٌ من المحللين أن السنوات الثمان التي أمضاها بوش على رأس الإدارة الأمريكية كانت من أسوأ الحُقب التي عاشتها البشرية في العصر الحديث.. نتيجة الصراعات والأزمات والاحتقانات التي كان آخرها الأزمة المالية التي دفعت بالحزب الجمهوري إلى خارج البيت الأبيض.

كما أنه مسئول أمام الله.. والتاريخ عن تدمير آلاف المباني.. والمساجد.. وقتل الآلاف من الأطفال الأبرياء.. ويكفيه أنه هو الذي أمر بإلقاء حوالي ٣٤ ألف طن من القنابل فقط على العراق وأفغانستان..

كما يتضح من خلال الأحداث والوقائع التي شهدها العالم خلال القرن الماضي بأن "الحزب الديمقراطي" لا يختلف كثيراً عن منافسة على الحكم في الحزب "الجمهوري".. خصوصاً فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.. حيث لم تكن فترة النصف قرن الماضية من حكم الديمقراطيين من فترات السلام والازدهار..

فالرئيس الديمقراطي «هاري ترومان» كان هو من وجه الجيش لاستخدام القنبلة النووية لاخضاع اليابان في الحرب العالمية الثانية..

وهو أول من أعلن اعترافة بإسرائيل..

كما أن الحرب المصرية الإسرائيلية التي وقعت في يونيو ١٩٦٧ تمت بدعم كامل من الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس الديمقراطي «ليندون جونسون»..

فضلاً على أن أول قرار تم اتخاذه لإستخدام القوة المسلحة لضرب العراق بعد قيام حرب الخليج الثانية كانت في عهد الرئيس الأمريكي الديمقراطي بيل كلينتون.

ادعاءات كاذبة

الادعاءات الأمريكية لاحتلال العراق كانت كاذبة.. ويمكننا أن نلخصها في النقاط التالية:

قالت أمريكا إن هذا الاحتلال هو من أجل إزالة أسلحة الدمار الشامل لدى العراق.. وقد ثبت بعد أكثر من ستة أشهر أن هذه الأسلحة غير موجودة.. برغم كونها أول من استخدم السلاح النووي في الحروب.. إلا أن ذلك لم يكن إلا تبريراً لتغطية نواياها الخبيثة.. وهي السيطرة على حقول النفط وعلى منطقة الشرق الأوسط.

من قال أن في العراق أسلحة دمار؟

إزالة "أسلحة الدمار الشامل" مسألة جاءت مشروطة بمهمات بعثات التفتيش الدولية والنتائج التي تتوصل إليها في تقاريرها المرفوعة إلى مجلس الأمن.. والتقارير التي رفعها كبير المفتشين «هانز بليكس» عن السلاح الكيماوي والبيولوجي إضافة إلى تقارير «محمد البرادعي» عن السلاح النووي أكدت كلها في اللقاءات الدولية الثلاثة عدم وجود تلك الأسلحة.. أو على الأقل عدم توصل فرق التفتيش إلى إثبات وجودها.. وطالب المفتشون في تقاريرهم بزيادة عددهم وتوسيع صلاحياتهم وتمديد المهلة الزمنية حتى يتم التأكد من صحة ادعاءات مخابرات واشنطن ولندن.. فالإزالة إذن كانت مشروطة بالبحث والمعلومات المؤكدة وليس مجرد فرضيات منقولة بالتواتر عن أجهزة استخبارات تعتمد على شائعات وأقاويل وتكهنات.

مسألة الإرهاب لم ترد بدورها لا من قريب ولا من بعيد في القرار الدولي«١٤٤١» والدول التي وافقت على صدور القرار بالإجماع لم تلحظ وجود

مثل هذه الإشارة التي هي أيضاً مجرد إضافات تعتمد على تخمينات الاستخبارات ومعلومات تم تجميعها من مصادر متفرقة ومجهولة لا يعتمد على أخبارها كوثائق مؤكدة تبرر قتل مئات الألوف من السكان.

إذن بدأت الحرب استناداً إلى قرار دولي لا يعطي ذريعة للعدوان..

وحين انطلق العدوان على العراق تغيرت الأولويات.. وتبدلت الأهداف.. مرتكزة على اتهام الولايات المتحدة «مدعومة من بريطانيا» للعراق بمخالفة القرار الدولي «وإخفاء أسلحة دمار شامل» وبدأت حربها استناداً إليه.

الهدف إذن كان إسقاط النظام.. ولن تقبل الولايات المتحدة بأقل من الانتصار العسكري على العراق..

والهدف الثاني إزالة أسلحة الدمار الشامل وحتى الآن تقول القوات المهاجمة إنها لم تعثر على ذاك السلاح الذي تذرعت به للعدوان..

والهدف الثالث وهو الأهم ملاحقة شبكات الإرهاب.. هذه النقطة خطيرة جداً لأنها تفتح باب التصفيات الأهلية.. وتدفع القوات إلى ارتكاب المجازر ضد المدنيين بذريعة تفكيك شبكات الإرهاب وملاحقتها.. وبعد تصفيتها في الداخل تبدأ القوات الأمريكية بتوسيع ملاحقاتها خارج دائرة العراق بذريعة أن بعض تلك "الشبكات" نجح في الإفلات من قبضة الأمن.. ولجأ إلى دول مجاورة قد تكون إيران أو تركيا «التي توترت علاقتها مع واشنطن».. أو سوريا.. وربما الأردن والسعودية.

الهدف الأخير خطير للغاية.. فهو يفتح باب امتداد الحرب وتوسيع دائرتها في حال نجحت الولايات المتحدة في تثبيت مواقعها السياسية في العراق مستفيدة من ثرواته النفطية والمالية.

وهذا الهدف هو الجديد في برنامج أولويات أمريكا هناك.. ويتوقع أن يحتل المرتبة الأولى بعد تمكنها من تصفية النظام العراقي.. فحين يتحقق الهدف الأول ويحذف النظام من جدول الأولويات يأتي بعده الهدف الثاني ويحذف أيضاً من الجدول ليصبح موضوع الإرهاب هو الأول ويتحول إلى "مسمار جحا" تتذرع به

واشنطن لتبرير حروبها المقبلة.. وتحت شعار ملاحقة وتفكيك شبكات الإرهاب يبدأ مشروع تفكيك دول الجوار.

هذا البرنامج الجديد للحرب على العراق أثار سلسلة من المخاوف الدولية..

فكوريا الشمالية قالت إنها مستعدة لضربة أمريكية وهي على أهبة الاستعداد لحرق المنطقة المحيطة بها في حالة حدوث ذلك..

إيران تخوفت من تلك الإشارات السيئة المتعلقة بالنشاط العسكري على حدودها «الفاو/البصرة» واختراق مجالها الجوي والأرضي أكثر من مرة..

تركيا أيضاً خائفة من انتقام أمريكى بعد انتهاء الحرب واستخدام شمال العراق مركزاً للنشاط المعادي لها في منطقة حدودها الجنوبية.

هذه المخاوف الإقليمية انتقلت أيضاً إلى روسيا حين حذر رئيسها آنذاك «فلاديمير بوتين» من انتقال الحرب إلى تركيا وتوسعها في دائرة العراق الإقليمية.

وفي المعنى نفسه رفض المستشار الألماني وقتها «شرودر» فكرة توسيع الحرب.. وحَذَرَ من مخاطر ذلك دولياً..

كذلك كرر الرئيس الفرنسي آنذاك «شيراك» الكلام نفسه.. معرباً عن تمسكه بالشرعية الدولية.. ورفض باريس قبول الأمر الواقع الذي ستسفرُ عنه التطورات العسكرية في العراق.. فالدول الكبرى لاتزال تعتبر أن الحرب غير شرعية ونجاح العدوان عسكرياً لا يعطيه صفة قانونية.

إذن نحن أمام حروب جديدة قد تكون العراق بدايتها.. والمعركة الدبلوماسية الآن هي بين أمريكا والدول الكبرى وعنوانها العريض:

ماذا بعد تدمير العراق؟

وماذا أيضاً بعد تمكن الولايات المتحدة من الأمر في العراق بعد اجتياحها إياه في التاسع عشر من مارس ٢٠٠٣ وكذا نجاحها في إسقاط نظام الرئيس السابق «صدام حسين» بعد سقوط بغداد في التاسع من أبريل من العام نفسه.

وبالشكل الذي استعرضنا إياه فبعد قيام بوش بهذه الجريمة الكبرى.. اتضح أنه لا توجد أسلحة دمار شامل.. فهل عاقب أحدٌ بوش.. ومن تحالفوا معه ؟

إنها مجرد كذبة

وفي ربطه بين ماحدث في العراق.. وما حدث فيما مضى.. ذكر المؤرخ الأمريكي المعاصر «هوارد زن إن»[1] أن عام ١٤٩٢ الذي شهد وصول «كريستوفر كولومبس» إلى الشواطئ الأمريكية هو بداية «الغزو والعبودية والموت».

وربَطَ بين سلوك مكتشفي الأمريكتين في حق سكان البلاد الأصليين.. وبين ما تسميه بلاده بـ «الحروب الدفاعية الوقائية» وغزوها لكل هذه الدول من فيتنام.. إلى العراق.. وأفغانستان بحجة إنقاذ الحضارة الغربية بأنه "مجرد كذبة".. وجميعها حروب عنصرية.. وأن ما تعتبره إرهاباً يتجاهل حقيقة أن الحرب نفسها إرهاب.. وأن مداهمة بيوت الناس.. واعتقالهم.. واخضاعهم للتعذيب.. هو أولاً وأخيراً إرهاب.. وأن غزو البلاد الأخرى وقصفها لا يوفر لنا «كأمريكيين» أماناً كاملاً.

إنه احتلال بغيض

وقال أنه بات واضحاً الآن وعلى نحو سريع أن العراق بعد التدخل الأمريكي ليس بلداً محرراً.. لقد أصبح بلداً محتلاً.. صحيح أننا حررنا العراق من «صدام حسين» ولكن لم نحرره من أنفسنا تماماً كما حدث في ١٨٩٨ عندما قمنا بتحرير كوبا حيث حررناها من الاحتلال الأسباني ولكن لم نحررها من أنفسنا".

وتابع أن بلاده كانت تقرر نوع الدستور الذي يجب أن يحكم كوبا تماماً كما تقوم حكومتنا الآن بوضع دستور جديد للعراق.. إن هذا ليس تحريراً.. إنه احتلال بغيض.

هذه هو رأي أحد مؤرخيهم.. ولا أكثر من شهادة شاهدٌ من أهلها.

(١) في كتابه «التاريخ الشعبي للولايات المتحدة».. وهو مرجع سبق الإشارة إليه.